الرئيس جيمي كارتر

ما له وما عليه

2024 - 1924

بقلم: د.أحمد حسن دحلي

قبل يومين من انطواء عام 2024، وانبلاج فجر عام 2025، غيبت المنية الرئيس الامريكي السابق جيمي كارتر عن عمر ناهز المائة سنة، حيث ولد في بلاينز بولاية جورجيا في 1 أكتوبر 1924، ومات فيها في 29 ديسمبر 2024. وأصبح في 20 يناير 1977 الرئيس التاسع والثلاثين للولايات المتحدة الامريكية بعد فوزه على المرشح جيرالد فورد، وحاول تجديد رئاسته لولاية ثانية، ولكن خسر في عام 1980 الانتخابات امام المرشح رونالد ريغان. وفي غضون حياته الخاصة والعامة التي امتدت لقرن كامل عاش وعايش وساهم وشارك وشاهد احداث دولية كبيرة غيرت وجه المعمورة بصورة راديكالية. ولد الرئيس جيمي كارتر بعد سبع سنوات من اندلاع الثورة البلشفية في روسيا عام 1917، وست سنوات بعد نهاية الحرب العالمية الاولى في 11 نوفمبر 1918 بجميع مخلفاتها، وثلاث سنوات قبل قيام الثورة الصينية بقيادة الحزب الشيوعي عام 1921، وعاش في مناخ سياسي واجتماعي واقتصادي محكوم أيضا بتلاشي وانزواء الإمبراطوريات، العثمانية والبريطانية والفرنسية الخ التي سادت ثم بادت، ثم ظهرت في أوروبا النازية والفاشية في ثلاثينات القرن المنصرم، وذلك قبل ان تنفجر الحرب الكونية الثانية في قلب أوروبا وتمتد السنة نيراها المحرقة الى كل من أفريقيا وآسيا، وولوج الولايات والمتحدة واليابان معمعة الحرب. وانتهت الحرب الساخنة بين الحلفاء ودول المحور، بهزيمة المانيا النازية وإيطاليا الفاشية والامبراطورية اليابانية التي هاجمت ميناء وقاعدة بيرل هاربور في المحيط

الهادئ، في 7 ديسمبر 1941، ودفعت الولايات المتحدة الى الدخول في الحرب. وهكذا فالحرب الكونية الثانية الين بدأت في 1 سبتمبر 1939 انتهت في 8 مايو 1945 بإستسلام دول المحور. ولكن، ومن مفارقات الأمور السياسية والأيديولوجية والاقتصادية والاستراتيجية والجيواستراتيجية، ان مع نهاية الحرب الساخنة، بدأت الحرب الباردة بين المعسكر الرأسمالي والمعسكر " الاشتراكي " وان رئاسة جيمي كارتر كانت في اوج الحرب الباردة بين المعسكرين عامة وبين واشنطن وموسكو خاصة. فمنذ عام 1945 ولغاية عام 1991، أي على مدى 46 سنة تم استخدام كل وسائل الحرب العسكرية والسياسية والايدولوجية والاقتصادية والنفسية والإعلامية والتقنية من قبل المعسكرين مع الحرص على تفادي أي مواجهة مباشرة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة. وجميع القارات السبع شهدت مواجهات غربية ـ شرقية بطريقة او أخرى.

بعد نهاية الحرب الكونية الثانية تمحورت السياسة الامريكية في تعزيز مواقف الدول الدائرة في فلكها والداعمة لها والمتعاطفة معها، للحيلولة دون تغلغل النفوذ السوفيتي اليها عبر وسيلة أو حيلة، والعمل وبدأب لإضعاف الاتحاد السوفيتي من خلال تنظيم ودعم قوى المعارضة في الدول الموالية لموسكو. وفي هذا السياق، وكانت ولا تظل الصين تحتل موقعا مهما في العقل السياسي الأمريكي الرسمي الذي يسعى الى:

1 ـ خلق فجوة بين بيكن وموسكو عبر سياسة الاغراء والابتزاز.

2 ـ اللعب بالنار في الاندوباسيفيك

3 ـ توظيف ورقة تايوان لخلق حالة توتر وقلق واضطراب في بحر الصين.

4 ـ احتواء الصين عبر حلف يشمل دول محيطها ويمتد لغاية استراليا.

5 ـ فرملة وان لم يكن عرقلة نمو اقتصاد الصين.

في سياق هذه الاستراتيجية الامريكية القديمة ـ الجديد، يقول الرئيس جيمي كارتر ان أكبر انجاز حققه ان رئاسته هو إقامة العلاقات الدبلوماسية الرسمية مع الصين في 1 مارس 1979، وتبادل فتح السفارة في بكين وواشنطن. واعتبرت تلك الخطوة الدبلوماسية انتصار سياسيا لواشنطن وخسارة كبيرة لموسكو في خضم أجواء الحرب الباردة بين العملاقين. ويجب في هذا الصدد التنويه الى ان الرئيس

الامريكي رتشارد نيكسون زار الصين في عام 1972 بعد قطيعة بين البلديين دامت ربع قرن. وان تلك الزيارة التي دامت أسبوعا كاملا من 21 الى 28 مارس من نفس السنة، مهد لها الأرضية مستشار الامن القومي الأمريكي هنري كيسنجر من خلال قيامه بزيارة سرية للصين في يوليو 1971.

واستغل الولايات المتحدة تدهور العلاقة السوفيتية ـ الصينية منذ ستينيات القرن الماضي لمد جسور العلاقات مع الصين. وكانت جملة أسباب وراء تدهور العلاقات بين الحليفين السوفيتي والصيني، نذكر منها ثلاثة عوامل رئيسية:

1 ـ بروز خلافات جوهرية حول فهم وتطبيق الماركسية اللينينية، توجت في خاتمة المطاف بطرح الزعيم الصيني ماو تسي تونغ وفي مطلع سبعينيات القرن المنصرم، نظرية العوالم الثلاثة التي تقسم العالم الى ثلاثة أقطاب سياسية واقتصادية وهي:

أولا: القوى العظمى ممثلة في الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

ثانيا: ـ والعالم الثاني ممثلا في الدول الغربية الأخرى.

ثالثا: ـ والعالم الثالث مجسد في الدول النامية وغير المنحازة.

2 ـ اختلاف تأثير وتأثر البلدين بالحرب الباردة.

3 ـ وقوف موسكو بجانب الهند في حربها ضد الصين في عام 1962 حول أراضي في مرتفعات جبال الهمالايا.

بينما يرى بعض الباحثين بأن الإنجاز الكبير الذي حققه الرئيس جيمي كارتر يكمن في اتفاق الرئيس المصري انوار السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن في 17 سبتمبر 1978 في كمب ديفد، والذي وضع حدا للحرب بين البلدين، ولكن ذلك الاتفاق لم يتجاوز النطاق الحكومي في كل من القاهرة وتل ابيب. فرغم مضي زهاء نصف قرن على ذلك الاتفاق، فلم يحدث أي تطبيع على مستوى الشعبين لغاية الساعة، وان في ذلك أكثر من رسالة ودلالة، لأن القضية الأساسية لم تكن سيناء، بقدر ما هي فلسطين. وبناء على ذلك يعتبر اتفاق كمب ديفد ناقصا، وعواقبه الكارثية والكابوسية ماثلة للعيان في المنطقة، بعد شق صف الدول

العربية، وتحييد مصر على الأقل من الناحية العسكرية، وضمان التفوق الإسرائيلي.

Operation Eagle Clow" عملية مخلب النسر " وهزيمة الرئيس كارتر

عندما أدرك شاه إيران محمد رضا بهلوي بأن الثورة ستقتلع عرشه، غادر طهران خلسة في 16 يناير 1979، وبات لاجئا لغاية رحيله، بينما اللاجئ آية الله الخميني عاد من ملجئه الفرنسي في 1 فبراير 1979، وتقلد زمام السلطة في البلاد. وفي زحمة تلك الاحداث التاريخية والسياسية التي شهدتها ايران، اقتحمت مجموعة من المتظاهرين المؤيدين للنظام الجديد السفارة الامريكية واحتجزوا 52 مسؤولا وعاملا امريكيا. فبادرت إدارة الرئيس جيمي كارتر بإجراء اتصالات مباشرة وغير مباشرة بغية تحرير الرهائن، ولكن دون طائل، فأتخذت قرار تحريرهم بالقوة عبر عملية اطلقت عليها " عملية مخلب النسر " تم الاعداد لها تحت اشراف البيت الأبيض لمدة ستة اشهر، أي من 5 نوفمبر 1979 لغاية 24 ابريل 1980، وسخرت لها الأقمار الصناعية ـ لتحديد المواقع وتنسيق العمليات ـ ، والسفن الحربية، وطائرات نقل الجنود والوقود، وطائرات مقاتلة، ومروحيات عسكرية لوحدة الكوماندوس التابعة لقوات الصفوة الخاصة " الدلتا ".

وحينما حانت ساعة الصفر في 24 ابريل 1980 وتم الشروع في تنفيذ العملية أصيبت احد اجنحة طائرة النقل بالعطب، وحصل تأخير في توقيت وصول المعدات والقوات حسب الخطة المرسومة، وحدثت مفاجآت لم تكن واردة في الخطة، أي وجود حركة سيارات مدنية اطلق النار على بعضها، وتحول الليل الدامس الذي كان من المفترض ان يكون الستار الحاجب تحول الى انوار ساطعة، ولكي تكتمل حلقة سوء الترتيب والتقدير، هبت عاصفة رملية في

صحراء طبس، بجنوب شرق طهران، اربكت سريان العملية العسكرية، وحالت دون الرؤية فاصطدمت طائرة مروحية امريكية بطائرة نقل الجنود والوقود، واندلع الحريق وسط أصوات الانفجارات، فبات السر مكشوفا، وغدت القوات المنخرطة في العملية مهددة، وتم التخلي عن العملية، وحلت الكارثة، وفشلت " عملية مخلب النسر " مخلفة وراءها 8 جنود قتلى، وخمس مروحيات عسكرية لم يتمكن نقلها، علاوة على الطائرتين المتحطمين. وهكذا اعتبرت هذه العملية من أفشل العمليات العسكرية الامريكية، وغدت تلاحق الرئيس جيمي كارتر كظله. ويرى بعض المحللين انها كانت وراء هزيمته في انتخابات 1981 الرئاسية ضد الرئيس رونالد ريغان، وتعتبر نقطة سوداء في سجل ولايته الرئاسية.

وأخيرا وليس آخر، هناك من يرى بأن الرئيس جيمي كارتر حقق بعد خروجه من البيت الأبيض، ما لم يحققه وهو بداخله في العديد من القضايا السياسية والمشاريع الانسانية، وهناك أكثر من قول وراي في ذلك، كما سنرى طبيعة دور وساطته بين الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا والطغمة العسكرية الحاكمة في اثيوبيا " الدرق " في عام 1989.

كارتر والقضية الارترية

كان لا مندوحة من رسم صورة عامة عن سياسة مواقف الرئيس الأمريكي الراحل جيمي كارتر قبل تناول موقفه من القضية الارترية ابان حرب التحرير. من مفارقات الأمور السياسية بهذا الشأن، ان بعد زهاء ثلاثة أشهر من تولي الرئاسة الامريكية اتخذ المجلس العسكري الاثيوبي المؤقت " الدرق " قرار اغلاق القاعدة العسكرية الامريكية في ارتريا، أي قاعدة قانيو استيشن في اسمرا، وسط ضوضاء شعارات الطغمة العسكرية الجوفاء التي لا علاقة لها سواء بالماركسية او بالاشتراكية، بقدر ما كانت مجرد عملية تملق سياسية مكشوفة

بهدف الحصول على مختلف اشكال المساعدات العسكرية والمالية والسياسية من الاتحاد السوفيتي والدول التي كانت تدور في فلكه هنا وهناك، بغية مواجهة الصومال من ناحية، والقضاء على الثورة الارترية من ناحية اخرى.

موقف إدارة الرئيس جيمي كارتر من القضية الارترية لم يكن يختلف نوعيا الموقف الأمريكي منذ عهدي فرانكلين روزفلت وهاري ترومان، أي مصادرة حق الشعب الارتري في تقرير المصير، والحيلولة دون استقلال ارتريا، وابقائها تحت السيطرة الاثيوبية، خدمة لمصالح الولايات المتحدة الاستراتيجية في القرن الافريقي، وفي حوض البحر الأحمر الذي يعتبر شريان الحياة الاقتصادية بين الغرب والشرق، علاوة على أهميته الجيو استراتيجية في صراع المصالح والمطامع والنفوذ بين الدول الكبرى.

ارتريا لم تكن في دائرة اهتمام إدارة الرئيس كارتر، طالما انها توجد ضمن اثيوبيا، وان الإدارات الامريكية المتعاقبة لم تجر أي تغيير بل أي تعديل في موقفها من القضية الارترية حتى بعد حلول الاتحاد السوفيتي محلها ليس في اثيوبيا وحسب بل في ارتريا، حيث اقام القواعد العسكرية، ولا سيما في جزيرة دهلك، وتمتع بتسهيلات عسكرية في كل من ميناء مصوع وعصب. وان الاهتمام الأمريكي بالثورة الارترية بدأ يأخذ بعدا مهما بعد تدخل الاتحاد السوفيتي والدول الموالية له بصورة او أخرى في الحرب في الساحة الارترية، ولا سيما بعد قيام الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا بعملية الانسحاب الاستراتيجي من المدن الكبيرة والعودة الى قاعدتها الخلفية في نقفه عام 1979، واستيعاب الحملات العسكرية الاثيوبية المتتالية، واستنزاف القوات والاستعمارية واعوانها عبر بعض العمليات الهجومية المضادة مثل عملية شمال شرق الساحل التي كانت تعرف بجبهة ـ اوقاو از ـ في مارس 1984، وتنفيذ العمليات الفدائية خلف خطوط العدو، بل وفي قلب العاصمة الارترية اسمرا، حيث قام الفدائيون الارتريون في مايو 1984 بعملية بطولية كبيرة في مطار اسمرا العسكري، ودمروا ما لا يقل عن 30 طائرة عسكرية، أدت الى زعزعة اركان القيادة السياسية والعسكرية الاثيوبية والخبراء السوفييت. ثم شرعت الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا في تطبيق سياسة الزحف العسكري الاستراتيجي الحاسم لتحرير كل ارجاء ارتريا. فخاض الجيش الشعبي اول معركة واسعة النطاق في مارس 1988 ضد القوات الاثيوبية التي كانت ترابط في جبهة نادو از، ففي خلال ثلاثة أيام فقط دمرت اكبر جبهة عسكرية اثيوبية واسرت ثلاثة ضباط في الجيش السوفيتي، واستولت على كميات

ضخمة من مختلف أنواع الأسلحة الثقيلة والمتوسطة والخفيفة لأول مرة في تاريخ النضال الارتري المسلح، وقبل هذا وذاك، حررت مدينة افعبت، وأمنت الجبهة الخلفية لقاعدتها الخلفية في مدينة نقفه التي تحولت الى رمز صمود وبقاء الثورة الارترية، وفشلت كل محاولات القوات الاثيوبية الاستعمارية واعوانها في استعادتها، بعدما تحررت من كابوس الاستعمار في عام 1977.

عملية نادو ـ از غيرت المعادلة العسكرية رأسا على عقب، فالثورة الارترية تحولت من موقع الدفاع من اجل البقاء والوجود، الى موقف الهجوم، ودحر المستعمر، وتحرير المدن. ففي ظل هذه الأجواء بدأ الرئيس الأمريكي جيمي كارتر يعد بعض الدراسات عن ارتريا في مركزه الذي اسسه في عام 1982، بضوء اخضر من البيت الأبيض. وهكذا أجري اول اتصال بالجبهة الشعبية لتحرير ارتريا في ابريل 1989، وأعرب عن رغبته في النهوض بدور الوسيط بين ارتريا واثيوبيا، ونجح في ترتيب وتنظيم اول لقاء بين الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا ونظام الدرق الاثيوبي في 7 سبتمبر 1989 في مدينة اتلانتا بولاية جورجيا، ثم تواصل اللقاء في نيروبي بكينيا، ولم يحرز أي تقدم يذكر، لأن النظام العسكري الاثيوبي كان يرفض الإقرار بحق الشعب الارتري في تقرير المصير، ويعتبر القضية الارترية مسالة طبقية داخلية في اثيوبية، ولم تكن قضية وطنية في نظره. والرئيس جيمي كارتر من ناحيته، لم يكن يريد استقلال ارتريا، وكان حريصا ان لا تأخذ القضية الارترية بعدا دوليا، وان لا تعود مرة أخرى الى الأمم المتحدة، خشية ادراج القضية الارترية ضمن ملف تصفية الاستعمار في افريقيا. ولقد ذهب به الامر الى فبركة كذبة سياسية، عندما قال للوفد الارتري المفاوض، بأنه اتصل بالأمين العام للأمم المتحدة بيريز دي كويلار لكي يجس نبض منظمة الأمم المتحدة إذا كانت مستعدة للمشاركة كطرف مراقب للمفاوضات بين الوفدين الارتري والاثيوبي. وان الأمين العام للأمم المتحدة رفض المشاركة. ولكن الوفد الارتري عرف بعد يوم واحد بأن الأمم المتحدة لم ترفض المشاركة وان الرئيس جيمي كارتر كذب عليه، وبالتالي لم تعد لديه أي مصداقية لدى الوفد الارتري. والادهى من كل ذلك، حاول الرئيس كارتر تحميل الجانب الارتري فشل المفاوضات، وهدده بالعواقب العسكرية التي ستترتب على ذلك. فرد عليه أحد قادة الثورة الارترية مباشرة، سنرى ما سيجرى في الميدان، والامر الأكيد إنك أكبر كذاب. فلم يصدق الرئيس كارتر اذنيه، فطلب من المسؤول الارتري ان يكرر له قوله. فرد عليه قائلا سأكرر لك ذلك ألف مرة إذا ما اردت. وهكذا انتهى

اللقاء بين الطرفين، وانطوت صفحة وساطة الرئيس جيمي كارتر رسميا، وبدأت وساطة الإدارة الامريكية في عهد الرئيس جورج بوش الاب، بعد انهيار الجيش الاثيوبي، وتكبده هزيمة ساحقة في الجبهة الشرقية، توجت بتحرير مدينة مصوع في 18 فبراير 1990، وفتحت الطريق صوب اسمرا. وبغية تدارك ما يمكن تداركه، تهافتت وطرحت واشنطن مقترحا " جديدا " في نوفمبر 1990 لا يختلف في جوهره عن مقترح الرئيس كارتر الذي لم يكن بعيدا عن صياغة المقترح " الجديد "، لقطع الطريق على تحرير ارتريا. ويتلخص المقترح " الجديد " في قيام حكومة ذاتية لإرتريا، ودستورا فيدراليا لأثيوبيا، أي العودة الى الحل الفيدرالي مع اجراء بعض الرتوشات الديكورية عليه، وذلك بعد ثلاثة عقود من خوض نضال تحرري وتقديم القوافل من الشهداء. علما ان الوسيط الأمريكي كانت لديه معلومات دقيقة بشأن سير المعارك لصالح الثورة الارترية، وعليه كان يلح على اجراء المفاوضات على وجه السرعة في سباق محموم مع الزمن قبل بلوغ الأمور نقطة اللاعودة الى الوراء. وبالمقابل، فإن الوفد الارتري عمد على كسب الوقت، لأن الاحداث كانت تسير على وتيرة سريعة في الميدان لصالح الثورة، وان تحرير اسمرا كان قاب قوسين أو أدني. وهكذا وبعد مناورة سياسية، وتحقيق غايته العسكرية، توجه الوفد الارتري الى لندن، والتقى بالوسيط الأمريكي والوفد الاثيوبي في 25 مايو 1991، والأمور قد حسمت، ولم يعد شيئا مطروحا في مائدة المفاوضات، لأن ساحة المواجهات العسكرية حسمت الأمور مرة واحدة والى الابد، بتحرير كامل التراب الوطني الارتري من الاستعمار الاثيوبي واعوانه من السوفييت والامريكيين.

7 يناير 2025